رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 5- سورة الدخان | من الأية 83 إلى 24

عبدالرحمن العجلان

---

السماوات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله - 00:00:01

هذه الايات الكريمة من سورة الدخان جاءت بعد قوله جل وعلا وعيدا لكفار قريش خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين - 00:00:31

لما توعد جل وعلا كفار قريش وبين انهم ليسوا باقوى ولا اعتى من قوم تبع اهلكهم الله جل وعلا لما عصوا رسله فلم تنفعهم قوتهم قال جل وعلا وما خلقنا السماوات - 00:01:14

والارض وما بينهما لاعبين فالله جل وعلا خلق السماوات والارض وما بينهما وما فيهما بالحق وكفار قريش ينكرون البعث والحساب والجنة والنار ولو انه لم يكن هناك حساب ولا جنة - 00:01:51

يثابها المطيع ولا نار يعاقب بها العاصي لكان خلق السماوات والارض وما بينهما حبسا والله منزه عن العبث لو لم يكن هناك حساب ولا عذاب ولا جنة ولا نار لكان خلق السماوات والارظ وما بينهما والارظ وما بينهما عبثا - 00:02:39

الله جل وعلا منزه عن هذا ولذا قال وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين. يعني بغير غرض صحيح قال مقاتل رحمه الله لم نخلقهما عابثين بغير شيء وقال الكلبي - 00:03:16

لاهين وقرأ قرأ الجمهور وما بينهما وقرأ وما بينهن لان السماوات والارض جمع ما خلقناهما الا بالحق ما خلقناهما وما بينهما وما فيهما الا بالحق بالامر الحق او بالعدل او الاقامة - 00:03:46

الحق واظهاره او لاثابة المطيع وعي قابل عاصي الذي هو العدل. عدله جل وعلا ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون اكثرهم اكثر الناس لا يعلمون فجل الخلق وجل الثقلين - 00:04:29

عصاة لا يعلمون لا يؤدون حق الله ولو علموا حقيقة ما يستحقه الله جل وعلا من العبادة لافردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولكنهم لجهلهم اعرضوا عن عبادته والله جل وعلا يقول - 00:05:06

وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وان تطع اكثر من في الارض يظلوك عن سبيل الله والله جل وعلا يبين ان الاكثرية على الظلال فلذا لا يجوز للمرء ان يغتر بالاكثر - 00:05:40

ويقول جل الناس على هذا او اكثر الناس على هذا او تعارف الناس على هذا لا الحق يعرف بدليله لا بكثرة الناس فكثرة الناس غالبا على الظلال ليسوا على الحق - 00:06:08

ولكن اكثرهم لا يعلمون في قصور نظرهم واهتمامهم بامر دنياهم وطنيهم لما خلقوا له وفي هذا تجهيل لمنكر البعث ان منكر البعث ولو كان عنده شيء من العقل لادرك ان البعث - 00:06:37

قبل ان يجب ويعلن بالشرع يعرف بالعقل لان الله جل وعلا امر العباد ونهاهم وكلفهم والدنيا ليست بدار جزاء وما نرى ان الله عجل الثواب لكل من اطاع وعجل العقاب لكل من عصى. حتى نقول ان المسألة تنتهي عند هذا - 00:07:19

نرى كثيرا من العصاة في نعمة في الدنيا ونرى كثيرا من المطيعين الصالحين في ضيق في الدنيا ولو انه لم يكن هناك الا الدنيا لا

نسب الى الله جل وعلا وهو منزه عن ذلك - 00:08:00
الجور والظلم وعدم اعطاء المطيع حقه واكرام العاصي والله جل وعلا منزه عن ذلك والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء - 00:08:30
ولكن اكثرهم لا يعلمون فمن انكر البعث فهو جاهل وليس بعاقل لان البعث دل عليه الشرع ودل عليه العقل كذلك المطيع بفضل الله واحسانه له ثواب والعاصي بعدل الله جل وعلا وحكمته يستحق العقاب - 00:09:00
وما نرى شيئا من هذا في الدنيا لان الله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب اذا فمتى يكون الثواب والعقاب لا بد وان يكون متى بعد البعث - 00:09:37
والله جل وعلا لم يرظى الدنيا نعيما وثوابا لاولياءه ما رضيها لانها مؤقتة يسيرة وثواب الله عظيم كما انه جل وعلا لم يرظها عقابا لاعدائه لانها تضمحل وتنتهي وثواب الله جل وعلا ثابت - 00:10:00
دائما وابدا كما ان عقابه كذلك لمن عصاه بعد اقامة الحجة عليه والاستدلال بخلق السماوات والارض وما بينهما على البعث ظاهر لان الله جل وعلا خلقهما بالحق والعدل والحكمة وامر وكلف - 00:10:32
ونهى وحذر المطيع يرجو الثواب والعاصي يستحق العقاب واين هو كل هذا في الدار الاخرة يقول تعالى مخبرا عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا - 00:11:05
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ايات مماثلة لهذه الاية كثير في كتاب الله  وقال افحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون. يعني لو لم يكن هناك رجوع الى الله جل - 00:11:38
لكان خلق الخلق عبثا والله منزه عن ذلك فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ثم قال ان يوم الفصل وهو يوم القيامة يخسر الله فيه بين الخلائق - 00:11:59
ويعذب الكافرين ويثيب المؤمنين وقوله ميقاتهم اجمعين ان يجمعهم كلهم اولهم واخرهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع قريب قريبا قوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون - 00:12:21
وكقوله ولا ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل اخاه عن حاله وهو يراه عيانا وقوله ولا هم ينصرون اي لا ينصر القريب قريبة ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال - 00:12:52
الا من رحم الله اي لا ينفع يومئذ الا من رحمه الله عز وجل لخلقه انه انه هو العزيز الرحيم اي هو عزيز ذو رحمة واسعة ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين - 00:13:15
يوم الفصل يوم القيامة كما في قول الله جل وعلا ان يوم الفصل كان ميقاتا وقال جل وعلا لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ان يوم الفصل الذي هو يوم القيامة - 00:13:36
كان ميقات ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يعني ميقات الخلق هو الوقت الذي يفصل الله جل وعلا فيه بين الخلائق ان يوم الفصل ميقاتهم لرفع كلمة ميقاتهم خبر ان على قراءة الجمهور - 00:14:05
وقرأ بعضهم ان يوم الفصل ميقاتهم على ان ميقاتهم هو اسم ان ويوم الفصل الظرف في محل الرفع متعلق بمحذوف خبر ان ميقاتهم اجمعين اي جميع الخلائق يجمع الله فيه الاولين والاخرين ويفصل بينهم. يقضي جل وعلا بينهم بالحق - 00:14:37
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم لا يغني مولى كلمة مولى تطلق على السيد وعلى الرقيق وعلى القريب وعلى الصاحب وعلى معان كثيرة يعني فيه صلة بين هذا وهذا - 00:15:10
لكن لا احد يستطيع ان ينفع الا باذن الله جل وعلا المراد بالمولى الاول يوم لا يغني مولى مؤمن عن مولى عن قريبه او سيده او رقيقة او صاحبه او قرينة في الدنيا - 00:15:47
الكافر لا يغني مولى عن مولى شيئا لفظها واحد وهي مختلفة بالاعراب وهي تعرب اعراب المقصور والمقصور لا تظهر عليه الحركات بخلاف المنقوص فلا تظهر عليه لاجل الثقل واما المقصور - 00:16:20

فلا تظهر عليه تعذرا. يعني لا تظهر عليه ابدا لا يغني مولى مولى فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة على اخره منع من ظهورها التعذر عن مولى مجرور وعلامة جره الكسرة - 00:16:57

منع من ظهورها التعذر فاذا اعربت المنقوص الذي اخره يا فقل منع من ظهورها الثقل فمولى كفتى وعصى ونحوها منع من ظهور الحركة عليه التعذر والاول فاعل والثاني مفعول والثاني مجرور - 00:17:29

ومن حيث المعنى الاول المؤمن يوم لا يغني مولى يعني مؤمن عن مولى فاجر او كافر لا يغني عنه شيئا. يعني لا يستطيع ان ينفعه بشيء لان الحكم جل لله جل وعلا وحده - 00:18:05

فليس لاحد تصرف الا من استثنى الله جل وعلا بعد باذن الله جل وعلا للشافع ورضاه عن المشفور في قوله الا من رحم الله وهذا كقوله جل وعلا واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا - 00:18:34

فلا يستطيع الحليف ولا الناصر ولا الولي ولا الاب ولا الابن ان ينفع غيره يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون  فلا ينصر الظالم في ذلك الموقف ابدا - 00:19:04

لان الامر كله يرجع لله بخلاف حال الدنيا فقد ينصر الظالم ويخذل المظلوم وقد يقال للمبطل محق ويقال للمحق مبطل اما في الدار الاخرة والله جل وعلا يعلم الامور على ما هي عليه حقيقة - 00:19:31

والحكم بعلم الله جل وعلا بخلاف الحكم في الدنيا فالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو افضل الخلق على الاطلاق اقرب الخلق الى الله وهو الذي يأتيه الوحي من الله يقول - 00:20:03

انما انا بشر انكم تختصمون الي وانما انا بشر ولعل بعظكم يكون الحن بحجته من بعظ احسب انه صادق. فمن قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه. فانما هي قطعة من نار فليأخذها او ليدعها - 00:20:25

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول قد اقظي لاحدكم بما ليس له نظرا لكونه لا حجة قوي الحجة والاخر ضعيف البيان فاظهر الباطل اسلوب الحق وقضيت له وذاك ضعيف الحجة لا ادري ما في قلبه وما في ظميره - 00:20:46

واقضي له فمن قضيت له بحق اخيه فلا يأخذه ولهذا قالوا قال العلماء حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحل الحرام اذا ادعيت على اخيك المسلم بما ليس لك واحضرت شهود زور وحكم - 00:21:14

بشهادتهم الحاكم اخذت هذا الشيء في الدنيا وارتفع الاشكال وحل الاشكال. لكن هل يحل لك؟ لا حكم الحاكم لا يحل الحرام. وانما يرفع الخلاف لانهاء الخلاف في الدنيا والمآل والمرجع الى الله جل وعلا. الذي يعلم الحقائق كما هي - 00:21:40

في الدار الاخرة نفى النصرة جل وعلا عن الكفار والظالمين والطغاة وقال ولا هم ينصرون يعني لا يستطيع احد ان ينصرهم لا تتوهموا ان الدنيا ستكون الاخرة مثلها روج المبطل باطلة فقبل - 00:22:10

وانه سيروج في الدار الاخرة ويأتي بحجج الله جل وعلا يعلم الامور على حقيقتها الا من رحم الله الا المرحوم الذي رحمه الله والله جل وعلا لا يرحم الكفار ولا يغفر لهم - 00:22:44

ولا يقبل فيهم الشفاعة وانما يقبل الشفاعة جل وعلا في عصاة الموحدين بالمقصرين من المسلمين كما قال الله جل وعلا والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء - 00:23:17

والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الاباء صلحاء اتقيا مجتنبون للكبائر مقللون من الصغائر منزلتهم عالية في الجنة الابناء والذرية دونهم منزلة وقعوا في شيء من الكبائر قصروا في شيء من الواجبات - 00:23:56

الله جل وعلا يتفضل على الاباء بان يرفع الذرية معهم ولا ينزل الاباء عين الاباء بارتفاع الذرية معهم فضلا واحسان ويشفع الاباء في الذرية فيلحق الذرية بالاباء اذا اراد ذلك جل وعلا فضلا منه واحسان - 00:24:33

بشرط ان يكونوا كما قال الله واتبعتهم حريتهم ايمان يعني مثل لهم صفة الايمان اما اذا كانوا كفار فلا الكفار وعدم نفعهم في قوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون - 00:25:06

المؤمنون نفعهم في قوله تعالى الا من رحم الله الا اداة استثناء نوع الاستثناء هذا قيل انه متصل وقيل انه منفصل كيف توجيهه

متصل او منفصل اذا كان المراد بالمولى الاول - 00:25:32
يوم لا يغني مولى عن مولى. المولى الاول المؤمن والمولى الثاني الكافر الاستثناء حينئذ منفصل لان المستثنى ليس من المستثنى منه الا من رحم الله هذا المستثنى ليس من الاول - 00:26:03
ليس من الكفار وقيل الاستثناء هنا متصل يعني يوم لا يغني مولى عن مولى. المراد بالمولى الثاني الجنس العموم يدخل فيهم المسلم والكافر ثم استثني المسلم في قوله الا من رحم الله. يعني من اتصف بصفة الايمان - 00:26:29
الا من رحم الله قال الكسائي الاستثناء منقطع اي لكن من رحم الله وقال وكذا قال الفر وقيل هو متصل يكون متصل اذا كان المراد بالمولى الثاني العموم لا يغني احد عن احد ايا كان مسلما او كافرا - 00:27:00
الا من رحم الله من اذن الله جل وعلا له في الشفاعة فانه ينتفع الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم في قوله جل وعلا العزيز الرحيم تأييد للصفتين المتقدمتين - 00:27:31
الانتفاع في احد هذه مؤيدة بقوله جل وعلا انه هو العزيز وقوله الا من رحم الله مؤيدة بصفة الله جل وعلا واسمه الرحيم انه هو العزيز الذي لا يغالب اذا اراد الانتقام - 00:27:59
من شخص ما فلن يمنعه احد لانه ذا عزة وقوة الرحيم المتصف بصفة الرحمة لاولياءه والله جل وعلا له الاسماء الحسنى وله الصفات العلا موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب - 00:28:35
ففي جانب القوة وعدم الاعتراض عليه جل وعلا يوصف بالعزة انه هو العزيز وفي جانب رحمته وعفوه ومغفرته يوصف بالرحيم الرحيم باوليائه العزيز في جانب اعدائه والظلمة والطغاة والمجرمين الا من رحم الله - 00:29:08
انه هو العزيز الرحيم وعرفنا تأييدا هذين الاسمين والوصفين الجليلين لله جل وعلا لما اتقدم فلا يغني مولى عن مولى لان الله عزيز فلا يتجرأ احد ان ينفع احد ولا يستطيع - 00:29:45
الا من رحم الله من عباده الذين يستحقون الرحمة وهم المؤمنون لان الله جل وعلا رحيم بعباده رحيم بمن اطاعه وان حصل منه شيء من المعصية وفي هذه الايات تقرير - 00:30:19
لحكمة الله جل وعلا وانه ما خلق الخلق عبثا ولا هملا ولا سدى وانما خلقهم لامر عظيم وحكمة عظيمة كما قال الله جل وعلا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون - 00:30:47
وفي هذه الايات تقرير للبعث ودلالة عليه وان الله جل وعلا لابد وان يبعث الخلق ويحاسبهم على اعمالهم فيثيب المطيع ويتفضل عليه ويزيده من فضله ويعاقب العاصي بعدله وحكمته وهو جل وعلا يزيد في الثواب ولا يزيد في العقاب - 00:31:11
فلا يعاقب الا من يستحق العقاب وهو جل وعلا يثيب ويزيد في ثوابه جل وعلا وفي هذه الايات تجهيل وتظليل لمنكر البعث وان البعث دل عليه الشرع كما دل عليه العقل - 00:31:48
العاقل يدرك ان الله حينما امر ونهى لابد وان يكون لامره ونهيه نتائج من الثواب للمطيع والعقاب للعاصي فالعقل السليم يقرر ويعترف في البعث كما ان النقل من الكتاب والسنة - 00:32:22
دل على ذلك والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه - 00:32:59